

## العنف الصامت في المجتمع الجزائري

### رؤية تحليلية من منطلقات سوسيولوجية

### Silent violence in Algerian society Analytical vision from sociological perspectives

جمال بوربيع\*

جامعة جيجل - (الجزائر) [bourbiadjamel@univ-jijel.dz](mailto:bourbiadjamel@univ-jijel.dz)

Bourbia Djamel

University of Jijel (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2021/04/28 تاريخ القبول: 2021/10/22 تاريخ النشر: 2021/10/25

#### ملخص:

من المتعارف عليه أكاديميا وحتى في الأطر النظرية أن ظاهرة العنف ظاهرة قديمة متجددة في صور وأشكال تواكب ما طرأ على المجتمعات من تغيرات قيمية، و لن يختلف إثنان في اعتبار ظاهرة العنف من أهم مسببات المشكلات المجتمعية، وفي شتى المجالات والمراحل محدثة أضرار نفسية عميقة وجسدية بالغة، بل وإعاقة للذات و تعد على الآخرين، والاشكال الأكبر أنها في منحنى تصاعدي كما وكيفا، إذ تغيرت مظاهره بالتطورات الحاصلة على مستوى الانساق والتمظهرات السوسيولوجية، وحتى تأثيرات الجوانب المعيشية في إطار الأنظمة الاقتصادية المتضاربة، وضعف العلاقات الاجتماعية ووصولها السطحية الظاهرة وتصنيفها في خانة التفاعلات الثانوية والرمزية، فالعنف هو تعبير على مظاهر من عصيان للخالق وفساد أخلاق وسوء تدبر ومخالفة قوانين وإختراق مجال الضبط الاجتماعي، ما يؤدي إلى حدوث صدامات وصراعات ونزاعات وتداخل للحقوق مع واجباتها، وتحقق ثنائية معادلة الظلم والمتمثلة في ظالم ومظلوم وحق متنازع عليه، ولكن في مقالنا هذا وبعد بحثنا وتفكيرنا المعمق وملاحظاتنا السوسيولوجية للموضوع إرتأينا إلى التركيز على المرحلة الإستباقية للظاهرة وهي منطلق شرارات العنف، والتي لم تعنى ولم تنل حيزا بحثيا من قبل المختصين، وأطلقت عليه تسمية العنف الصامت وسنقدم مفاهيمه، تشكيلاته وتمظهراته وعناصر لا تقل أهمية، والتي سنتطرق لها بالدراسة والتحليل للإلمام بالموضوع.

**الكلمات المفتاحية:** العنف، العنف الصامت، صراع الأدوار، المناعة السلوكية، الإغتراب الذاتي

**Abstract:** The phenomenon of violence is an ancient and renewed phenomenon in images and forms that keep pace with the value changes that have occurred in societies. Violence is an expression of the manifestations of disobedience to the Creator, corruption of morals, mismanagement, violation of laws and penetration of the field of social control, which leads to the occurrence of clashes, conflicts. With its duties, it achieves the duality of injustice, represented by an oppressor and an oppressed and a disputed right, but in this article and after our research, deep thinking and our sociological observations of the topic, we decided to focus on the pre-emptive phase of the phenomenon. We will present its concepts, formations, manifestations, and no less important elements, which we will study and analyze in order to gain knowledge of the subject.

**Keywords:** Violence, Silent violence, Role-playing struggle, Behavioral immunity, Self-alienation

## مقدمة:

بعيدا عن المضامين النظرية والمعالجات البحثية القديمة والأطر السوسيولوجية التقليدية حول الظاهرة القديمة المتجددة والتي عانى منها الأفراد ودمرت المجتمعات وضاعت معها الحقوق ألا وهي ظاهرة العنف وبما أنه وفي مجمل الإجهادات تم التركيز على العنف في أشكاله الظاهرة بعد تعديه ووصوله و ترجمته إلى مجموع سلوكيات سلبية مؤثرة إذ تم إغفال المراحل الإستباقية، ووجود عنف والذي أصطلح عليه عنفا صامتا والمؤثر على الجوانب الشخصية وحتى المجتمعية و وصوله إلى عنف حقيقي، فحاولت في هذا المقال تسليط الضوء على العديد من جوانبه وزواياه بدءا بتقديم تعريف إجرائي خاص بالباحث حول مفهوم العنف الصامت مروراً بمراحل وجوده وتشكله لدى الكثير من الأفراد وسط بيئات ومؤسسات، وسنركز كذلك على مظهراته وتأثير كل من الصراعات الأسرية، الإعلام خاصة في صوره الجديدة، الخطاب الديني المتدني الغامض، الأنظمة الاقتصادية، فالمنطلقات مختلفة ولكن تؤدي إلى مخرجات واحدة، كل هذا بتحليل سوسيولوجي معمق للظاهرة في المجتمع الجزائري، والذي مرّ بالعديد من المراحل المراحل المؤثرة، إذ شهد تغيرات إجتماعية عميقة، جعلت منه شكلا مختلفا، مسجلا بذلك أشكالا مختلفة من العنف، وبالأخص العنف الصامت وهو موضوع مقالنا هذا.

## 1- مفاهيم الموضوع والعوامل المشكلة له :

- **العنف:** يقصد بالعنف لغة "عنف به وعليه عنفا وعنافة، لم يرفق به فهو عنيف، وعنف فلانا: لأمه بعنف وشدة وعتب عليه، وأعنفه: عنف عليه، واعتنف الأمر: أخذه يعنف (البستاني، 1997، ص 638) أما اصطلاحا فقد عرف العنف بأنه: "السلوك الذي يقصد به إيذاء الآخرين بدنيا أو ماديا" (التير، 1994، ص 43)

وعرف ايضا "ممارسة القوة البدنية لإنزال الأذى بالأشخاص أو الممتلكات، كما أنه الفعل أو المعاملة التي تحدث ضارا جسيما، أو تدخل في الحرية الشخصية" (حلمي، 1999، ص 09) من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن العنف متعدد الأشكال ويتم بأساليب مختلفة فهناك العنف البدني أو الجسدي وهو "العنف الموجه نحو الذات أو الآخرين لاحداث الألم أو الأذى أو المعاناة للشخص الآخر، ومن أمثله الضرب، الدفع" (خولة، 2000، ص 181)، نجد كذلك عنف بالكلام البديء والتحرش الجنسي سواء بالألفاظ أو بالإحاعات أو اللمس، فالعنف اللفظي "هو الذي يكون شفهي بالتهديد باستخدام القوة دون استخدام العنف فعليا، وغالبا ما يسبق العنف البدني الحقيقي هذا التهديد ولكن لا يشترط تلازمها في كل الأحوال" (عبد المختار، 2003، ص 156).

- **العنف الصامت:** بخلاف مختلف أنواع العنف الممارس في مجموع التفاعلات، إذ نجد عنفا جسيما من ضرب وآخر لفضيا من سب وشتم، ونجد عند الفرد عنفا صامتا والذي يعرفه الدكتور بوربيع جمال بأنه مجموع الأفكار الممهدة لحدوث العنف، والتي تدور في فكر ومخيلة الفرد من غيظ أو تطرف أو معاناة، أو عزلة إجتماعية أو إغتراب ذاتي، صراع داخلي، تراكم المتناقضات، عدم التوازن مع قضايا واقعية، وتبرز هذه الأخيرة في مجموعة تصرفات كالإنعزال، الكتابات الحائطية أو هزل في الجسم وشروذ الذهن.

وتختلف الأسباب والدوافع التي تجعل الفرد يمارس السلوك العنيف، وتتحكم في هذا السلوك عدة عوامل تراكمت كالدوافع الاجتماعية مثلاً، أو الرغبة في الإنتقام نتيجة لعوامل ذاتية نفسية يمر بها الفرد، أو كعنف إيذاء الذات كنتيجة لعوامل مرضية، أو مثل العنف الصامت الذي يمارسه الفرد بطرق مغايرة ومختلفة تماماً عن الطرق التقليدية، من خلال التعبير بالرسومات، واللباس، والإشارات، وحتى من خلال لغة التواصل والخطاب، ورغم تعدد الأسباب وتنوعها يبقى السلوك العنيف غير مرغوب وغير مؤثر ولا بد من معالجة أسباب حدوثه، فمن الأسباب الخاصة بالفرد وبشخصيته وضعف ثقته بنفسه، وأيضاً لجوءه للعزلة والإكتئاب، وإلى جانب هذه العوامل هناك عوامل إجتماعية يعيشها الفرد "وتتلخص في التهميش وفي الظروف الإجتماعية كالفقر والحرمان وغيرها، فهذه الظروف تنعكس سلباً على سلوكياته وتدفعه لممارسة الأفعال العنيفة إتجاه أي شخص قد يسبب له إزعاج" (دبارة، 1990، ص22)، فيعيش الفرد في هذه الحالة مجموعة من المشكلات التي يصعب عليه الإندماج معها أو حتى تقبلها، فينعكس هذا على شخصيته وسلوكياته ليصل لمرحلة يحاول فيها إفراغ مكبوتاته بطريقة عنيفة وبأي شكل كان، والواقع أنه كان يعيش عنفا صامتا مع ذاته وشخصيته، "لأن الإحباط، التوتر، القلق والحرمان العاطفي، الإنفعالات وتشديد الأمن، الخبرات المؤلمة والأزمات النفسية، النمو المضطرب لمفهوم الذات السالب، عدم الإستقرار يساعد على تبلور الصراعات والضغط النفسي وإفتقار شعور الثقة بالنفس" (زهران، 2000، ص496)، في هذه الحالة نرى الفرد يصارع من أجل ذاته غير أن الواقع الذي يعيشه بسببها قد أثر فيه وأصبح يعاني من "أزمة الهوية وغياب القدوة السلوكية، ودخول الفرد في حالة تعارض بين ما ينبغي أن يكون عليه وما هو كائن بالفعل" (جمعة، 1983، ص73)، وهنا قد نسجل تداخلاً في مسببات العنف بتعريفاته الأكاديمية وبين العنف والعنف الصامت، لأن هذا الأخير يعتبر البوادر الأولى والإقرار الذاتي، والتفكير وحتى وصول الفرد إلى مجموعة قناعات بضرورة إخراج الصراع الداخلي إلى العلن، ويكون ذلك بفقدان السيطرة على الذات وضعف توجهات العقل، مع التغيرات الجسمية، ومن إحمرار الوجه وإضطراب التنفس وسرعة خفقان القلب والتهور أحياناً، وأيضاً تأثير الوضع الإجتماعي وضرورة الدفاع أحياناً لإحتواء الوضع أو لإكتساب مكانة إجتماعية، أو المحافظة على إحداها ومن ثم إرسال رسائل مفهومة للآخرين.

## 2. صراع الأدوار داخل مؤسسات التنشئة الإجتماعية ومنطلقات تشكل العنف الصامت:

من المواضيع المؤثرة على بداية تشكل العنف الصامت في أولى بداياته، وأولى مظاهر بروزه نجد الأسرة وهنا نقوم بالتحليل في العديد من الاتجاهات والمشكلات الأسرية المؤثرة، فأولى المواضيع نجد الصراعات الزوجية التي تحدث بين الأبوين سواء بسبب النمط المعيشي ووجود مشكلات كالسكن أو ضيق العيش، وحتى المشكلات الصحية، أو على الصعيد الثقافي ومؤشرات التوجه كأن يكون الأب متأصلاً ومفضلاً عدم الدخول في المغامرات وعمليات التجديد، في حين تميل المرأة خاصة المتعلمة إلى ادخال التعديلات في المجال الحياتي ومن تصرفات سلوكية، وقد يحدث اختلافاً على طبيعة الكتب والبرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال، يحدث ذلك في إحدى الصور للهوة الثقافية وحتى المستوى الثقافي الموجود بين الزوجين، أيضاً نجد التفكك الأسري وخاصة الطلاق في صورته المتعارف عليها شرعاً وقانوناً، أو الخلع في صورته الحالية ولجوء العدد الكبير إلى فك الرابطة الأسرية والأرقام تبقى في تزايد رهيب، ما يولد ضغوطاً وعدم الرضا وعدم الإنطلاقة الجيدة، وتسجيل اللاتوازن

والإستقرار النفسي بالنسبة للطفل أو حتى للفرد الذي يعتقد بأن ضغوطات قد مورست عليه، فالمرأة المطلقة يشكل لها عنفا صامتا يؤثر لا محالة على توجيهات الأطفال المستقبلية وقد تلجأ إلى السلوكات غير الأخلاقية والتي أصبحت ترى بالملاحظة البسيطة، والرجل المخلوع يسجل مستويات قياسية من درجات العنف الصامت، وربما يؤدي إلى إضطرابات نفسية والإصابة بأمراض مزمنة ومضاعفات.

ولا يخفى على أحد أن الأسرة هي الخلية الأولى والأساسية في تكوين شخصية الفرد، وإكسابه للسلوكات الإيجابية والتي يتعرع في إطارها، حيث تعرف الأسرة بأنها "الجماعة الإنسانية الأولى التي يمارس فيها الطفل أولى علاقاته الإنسانية، لذلك فهي المسؤولة عن إكسابه أنماط السلوك الإجتماعي، وكثيرا من مظاهر التوافق أو سوء التوافق ترجع إلى نوع العلاقات الإنسانية في الأسرة" (الغريب، 1986، ص ص 20-21) أو هي "جماعة إجتماعية بيولوجية نظامية من رجل وإمرأة تقوم بينهما رابطة زواجية مقررة وأبنائهما، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العطفية، وتهيئة المناخ الإجتماعي الثقافي الملائم، وتنشأة وتوجيه الأبناء" (غيث، 1977، ص 117)

نسجل كذلك في هذا العنصر ظاهرة صراع الأجيال، والتي ساهمت فيه وسائل الإعلام والتغيرات لا أقول الجذرية بل السريعة جدا، وحتى الباحثين أصبحو يسجلون صعوبات منهجية في عملية إعداد البحوث الإجتماعية، فالفرضيات البحثية في بداية البحث قد لا نسجل لها تواجدا في فترة زمنية قصيرة وكأنها تعبر عن ظواهر حدثت قديما، فتأثيرات الجيل أصبحت مؤثرة وتلغي التنشئة الأسرية البسيطة المقدمة في السنوات الأولى، فإختيار اللباس مثلا أصبح يخضع لما يلبسه غيري وليس لرغبة الأبوين، لعدم تسجيل الاختلاف وعدم التناسق ووجود تميز سلبي للطفل مشكلا عنفا صامتا رهيبا بتسجيل الملاحظات المؤثرة في مرحلة بناء الشخصية، لذا وجب على المدرسة القيام بإعطاء المنطلقات الحقيقية والموحدة للصفوف، وكبح الفترات والاختلاف إلى الحد الممكن، فمجموع الضغوط الأبوية والتي تمارس على الأبناء بحسن نية وتوجيه الأبناء والخوف على مستقبلهم والرغبة في نجاحهم وعدم وقوعهم في الأخطاء المؤثرة مستقبلا، والتي تؤثر على التوازنات النفسية والمجتمعية للطفل، قد يخلق عنفا صامتا للطفل بشعوره بالإغتراب الذاتي وتعزل بناء الشخصية وفق ما هو موجود مجتمعا، أو على مستوى نفس الفئة العمرية، وهنا وجب للمراقبة الأبوية أن تكون بالشكل المرن والمنطقي والمتسلسل يغياب أشكال التأديب والإنقادات ذات اللهجة العنيفة وحتى العقاب الجسدي.

إلى جانب الأسرة تأتي المدرسة في المرتبة الثانية من خلال كونها المؤسسة الثانية في إستقبال وإحتواء الأفراد وقيامها بوظائف تكمل الوظائف التي تمارسها الأسرة، فتسعى إلى تلقين الأفراد وغرس فيهم القيم والمبادئ الإجتماعية والعقائدية الصحيحة، ومساعدتهم في تنمية فكرهم وشخصيتهم، وبما أن الأفراد في المدرسة قد يتعرضون لتصرفات عدوانية من قبل أقران لهم غير أسوياء وهؤلاء يتعرضون للعقاب من إدارة المدرسة، فإن الجميع من أسوياء وغير أسوياء لهم الإحساس بأن هناك قواعد للضبط الإجتماعي داخل المدرسة يستوجب مراعاتها من الجميع

ويتضح إرتباط المدرسة بالإخفاف ومنه العنف من خلال تأثيرها في شخصية الحدث من جهة ومن حيث تأثيرها في البيئة المحيطة من جهة أخرى، "وقد تفشل المدرسة في أداء وظائفها كمؤسسة إجتماعية تربوية لعوامل

متعددة منها ما يتعلق بالطفل ومنها ما يتعلق بزملائه، ومنها ما يتعلق بمعلمه، ومنها ما يتعلق بالمواد الدراسية وموضوعاتها وبالنظام المدرسي بصفة عامة" فالمدرسة قد تكون سببا من أسباب التمرد والعصيان من طرف الشباب، فالبرامج وجب أن تكون ممنهجة ومتوافقة مع المرحلة العمرية للأبناء بإستغلال طاقاتهم الفكرية، والتي هي في طور التشكل والإثراء، أو جسديا والمتميزة بالنمو والنشاط، وحتى نفسيا وبداية الشعور بالمسؤولية وتكوين الشخصية والطموح للقيام بالأدوار المستقبلية.

أما الوسط الثالث المؤثر والمهيأ لظهور هذا النوع من العنف نجد جماعة الرفاق، والرفيق هو "شخص يمكن أن نلتقي به على أساس المساواة، وتنشأ علاقة تسمى الصداقة" (محمود، 1997، ص430)، حيث تلعب جماعة الرفاق الدور الهام في التأثير في شخصية الأفراد الآخرين، "كما تعد من الجماعات الأولية التي لها تأثيرها على الشخصية بعد الأسرة وما يقوي تأثير هذه الجماعة على الشخصية، التشابه والتجانس بين أفرادها من حيث العمر والأهداف والميول والاتجاهات، وقد أقرّ توصل بعض الباحثين إلى أن جماعة الرفاق قد تكون البديل للأسرة في بعض الأحيان، خصوصا بالنسبة للجناحين المنحرفين" (العمرى، 2003، ص93)، أذ تعمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية على إعداد وإكساب الأفراد وتزويدهم بمجموع المعارف والخبرات الحياتية، التي تمكنهم من القيام بأدوارهم أسريا ومجتمعيا ووظيفيا وحتى إنسانيا، إذ يعرف الدور الاجتماعي بأنه وضعية الفرد في الجماعة، أو الدور الذي يلعبه الفرد في جماعة أو موقف اجتماعي" (لوكيا، جابر، 2003، ص265)، كما ينظر للأدوار الاجتماعية بأنها "التصرفات والسلوكات المتوقعة من العضو في مركز وظيفي، وهي مثل الأدوار التي يلعبها الممثلون" (ماهر، 2003، ص265)

بما أن الفرد داخل البناء الاجتماعي أو المجتمع ككل يمارس عدة أدوار وفق الأنظمة والقوانين والأعراف والعادات والقيم المتفق عليها والمتعارف عليها، ففي أحيانا كثيرة تصطدم هذه الأدوار مع أدوار الآخرين فيحدث صراع يتخذ عدة أشكال وغالبا ما ينتهي بعنف ممارس بطريقة ما أو معبر عنه في صورة ما، يختفي مدة معينة في شكل عنف صامت ثم يظهر بإحدى الصور ويخرجه الفرد للواقع، "ويحدث صراع الأدوار حينما تتسبب الطلبات والتوجهات المتعددة من شخص أو أكثر حالة من الشك والغموض في ذهن الفرد حول ما يجب عمله أو متى يؤدي ولن يؤدي" (RICHARD, 1992, p510)، في هذه الحالة يعيش الفرد ضغط نفسي كبير يجعله يتصرف بعدوانية اتجاه كل ما يجده أمامه، " فيجد نفسه في ذات الوقت في موقف استجابتين أو أكثر متعارضتين، ويشترط أن يكون لكل منهما قوة متساوية تقريبا، أما الإستجابات المتعارضة أو المتنافرة فمن تلك الإستجابات التي لا يمكن أن تحدث في آن واحد أو في ذات الوقت" (العيسوي، 2000، ص87)

وكمثال واقعي نجد ظاهرة التنمر التي أخذت منحى تصاعدي، إذا أنتشرت هذه الظاهرة بين الأطفال خاصة في الوسط المدرسي، وحتى المجتمعي في الأحياء القديمة أو الأحياء السكنية التي تشهد تفاوتات طبقية، حيث يعد التنمر "نمط من أنماط العنف النفسي والمعنوي الذي يرسل رسالة سلبية لأطفالنا بأنهم عديمو القيمة، أو غير مرغوب فيهم، أو غير محبوبين، أو مهددون من قبل أطفال آخرين إذا لم يلبوا لهم إحتياجاتهم أو يصبحوا تابعين لهم بشكل مهين" (اليونيسف، 2018، ص05)، فالشخص الذي يتعرض لهذه الظاهرة يتشكل بداخله عنفا صامتا يجعله يبحث عن الطريقة التي يخرجه بها للواقع فتتنوع طرق التعبير ورفض هذا السلوك لأن "تعرض فرد ما

بشكل متكرر إلى سلوك سلبي من طرف أو أكثر حيث يكون هذا السلوك متعمدا، ويسبب الألم للضحية في المجال الجسدي، أو اللفظي أو العاطفي أو النفسي، وهو يختلف عن السلوك العرضي أو العدواني" (الصباحين، القضية، 2013، ص 09)، كما يتخذ التنمر عدة أشكال منها "التنمر الجسدي ويكون بالضرب، أو الإجبار على فعل شيء، والتنمر الجنسي كالتهديد بالممارسة، أيضا التنمر العاطفي والنفسي من خلال المضايقة والرفض من الجماعة، كذلك نجد التنمر في العلاقات الاجتماعية من خلال منع بعض الأفراد من ممارسة بعض الأنشطة باقصائهم، إلى جانب التنمر على الممتلكات كأخذ أشياء الآخرين والتصرف فيها عنهم، أو عدم إرجاعها وحتى إتلافها (المراجع السابق، ص ص 10-11)

وما نلاحظه أن هذه الظاهرة وهي التنمر قد أخذت حيزا واسعا من الانتشار مؤخرا وهذا بتطور وسائل التكنولوجيا وتعدد وسائل الاتصال والتواصل، وأصبح الآن هناك تنمر إلكتروني باستعمال وسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية بإرسال صور تنمرية وحتى رسائل وغيرها، فعند بلوغ الأفراد سنسجل عزوفا وعزلة إجتماعية وصراعات داخلية عنيفة والتوجه إلى رفض كل أشكال التفاعلات، وإعتبار كل ضرورات الحياة مضيفة للوقت، وتعميم الصورة السوداوية حتى على الإنجازات والإجتهادات الناجحة، وهنا الدخول في مرحلة اللاندماج والتي يصعب معها توحيد الصفوف وتطبيق القوانين، وعرقلة عملية البناء خاصة في مجال التنمية وعدم وجود تشاركية فعّالة.

### 3. وسائل الإعلام الجديد واختراق المناعة السلوكية للأفراد:

بتزايد التقنية وتطور الوسيلة الإعلامية اتسعت مساحة التعبير عن الأنا الفردي أو نحن المجتمعي، صار بالإمكان إيضاح العديد من المكونات والمظاهر الحياتية بأبسط الطرق وبأسرع الأوقات وفي غالبية المضامين الإعلامية كان الفرد موافقا لمحتواها أو معارضا لها وهنا نركز على بعض المؤسسات الإعلامية كالتلفزيون - الراديو وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي، وما يهمنا في هذه النقطة هو التأثيرات السلبية وإحداث عنفا صامتا، لأن المحتوى يتعارض مع قناعات الشخص، فظاهرة التحريض على بعض الوسائط والإتيان بالمعلومات والإستشهاد في إتجاه واحد يخلق صراعا داخليا مع عجز أي فرد عن التأثير والتمكن من التغير الخارجي، فتتكسر نفسيته ويعيش صراعا داخليا مريرا قد يظهر في بعض أشكاله كاحالات القلق، الإكتئاب والعزلة واليأس، في صورة من أسوء الصور التي يحدثها عدم إتران المضمون الإعلامي وتحيز الرسالة الإقناعية، فحدوث المظاهرات والمشاحنات وإزدياد حدة الاختلافات في الآراء، وحتى إرتكاب جرائم والقيام بعض من سريري الغضب بالإنتحار لتزايد الصراعات والفشل في مجال محدد، هذا من جهة، من جهة أخرى عرض الوسائل الإعلامية لمجموعة مقارنات إقتصادية بين الدول وسبل العيش والعمل والتربية، وفي ظل فشل الهجرة القانونية فيعيش خاصة فئة الشباب وهم العيش الكريم في دول أوروبا وأمريكا، بل والقيام بالتجارب الخطيرة والهجرة غير الشرعية، وهنا نذكر بنقطة فقدان الثقة في الإمكانيات الموجودة والكفاءات، وينعكس ذلك على الرغبة في التغير وإحداث التطور.

وفي صورة من صور التأثير الإعلامي المتزايد بعكس التحليلات نسجل لدى فئات مجتمعية عزلة ثقافية وفكرية سواء بعرض الإعلام الجديد مضامين متعارضة لقناعات شخص وفئة معينة، أو الدخول في مجال معين بالتركيز والإهتمام المؤثر على باقي النواحي الحياتية، فيصير بنفس مستوى المعتقد أو أكثر وبالتالي في كلا الحالتين نسجل



عنفا صامتاً نظير عزلته الفكرية والثقافية وغياب تناسقية مع ما هو موجود وما هو واقعي، ودائماً من الناحية الواقعية نجد أن عصر التكنولوجيا، عصر المعرفة والتطور التكنولوجي المذهل في وسائل الإتصال والتواصل والبحث قد لعب دوراً كبيراً في تعاطي الأفراد لمختلف السلوكيات الإنحرفية والعنفية التي تعلموها من خلال هذه التكنولوجيا والإعلام الجديد، فبعض وسائل الإعلام النفعية أو المادية كما تسمى إختارت العرض الإعلامي لكل شيء ما هو سواء مقبول غير مقبول مسموح غير مسموح ضار أو نافع كل هذا ساهم في خلق قوة داخلية في بعض الأفراد ودفعهم لممارسة السلوكيات العنيفة بمختلف أشكالها، "لأن ما تبثه بعض الفضائيات من سموم والتي إختترت الجدران الآمنة رغم أنها ببثها لكل أشكال العنف ومظاهره المختلفة زاد تأثير وسائل الإعلام في تعليم السلوكيات العنيفة وإنتشارها في المجتمعات، ويبلغ هذا التأثير أشده على الأطفال والمراهقين بحكم طبيعة المرحلة العمرية التي يعيشونها" (العال، 1993، ص67)، وما هو ملاحظ إرتفاع معدل الجريمة الأخلاقية في المجتمع نظير البرامج والأغاني وحتى كثرة المواقع الإباحية وتمكن فئة الصغار منها، وإزداد المكبوتات وعدم إمكانية التعبير عنها لرفضها مجتمعيًا، ويزداد الصراع بين الرغبات والميولات والمنوعات دينياً ومجتمعيًا، وهذا يقودنا لظاهرة التحرش الجنسي وهي شكل من أشكال العنف الجسدي أو المادي أو الأخلاقي، أو النفسي يحدث ضرر بكرامة الشخص المتحرش به وشرفه وحرته، ويمكن أن يظهر على أرض الواقع بعنف صامت بعد في أشكال مختلفة، "كتلميحات لفظية مباشرة كالإطراء، النكت، الدعابة، الدعوات ذات الهدف الجنسي تلميحات غير مباشرة بواسطة الإشارات مثل النظارت والإبتسام وتقديم الصور أو حركات أو إيجاءات جنسية، اللمس الذي يبدأ من القرص أو الملامسة إلى الإغتصاب" (الخيارى، 2001، ص32)، وما زيادة الجريمة الأخلاقية الإلكترونية إلا خير دليل، وهذا بسبب إستعمال وسائل التواصل الإجتماعي، أو حتى لمحتويات الوسائل الإتصالية التقليدية وحتى لدى الشخص المتحرش به نسجل عنفا صامتاً وحب الإنتقام، والذي قد يضطر لكتمانها لوجود عادات إجتماعية في مجملها سلبية خاصة في هذا الإطار.

#### 4. الخطاب الديني اللامتوازن وتغذية العنف الصامت:

الحديث عن العنف وخاصة في التصورات والقراءات الغربية يقودنا للحديث عن مجال مؤثر، وهنا لغرض التصحيح أو لمعالجة الظاهرة، فالإنسان فطر على المعتقدات لتسهيل التعامل مع الأمور والحاجات الحياتية وعدم تسجيل التيهان والدخول في صراعات وتحليلات غيبية مؤثرة على العقل الإنساني وتوضيح صورة وماهية تواجد الإنسان، وتكليفه برسالات سماوية، اعتذرت باقي المخلوقات عن حملها لثقلها، وصعوبة تحمل ضغوطها، وحتى في الأدبيات الغربية سجل مصطلح تناوله الباحثين بكثير من التحيز ألا وهو "الإسلاموفوبيا" أو الخوف من الإسلام والمسلمين كونهم حاملين لهذه الرسالة، وهنا إعتبارهم في عنف صامت قد يتطور فيكون في شكل إنتقامي أو في شكل إحدى الجرائم، وهنا نطرح الإشكال في صورته المحلية، فضعف الخطاب الديني من شأنه أن يهيئ المجال للتساؤلات الداخلية، وإستقبال خاصة فئة الشباب إلى قراءات غير سوية وغير صحيحة خاصة في ظل المعطيات الجديدة، فليجأ الشاب خاصة المتدين إلى الإفناء من جهات أخرى، وأحيانا غير معلومة المصدر فتحلل الحرام وتحرم الحلال والمتشبهات بينهما كثرة في زماننا هذا، وقد تغطى على الصورة الحقيقة ما يخلق تناقضا رهيبا بين الواقع الإجتماعي ما بين التفسيرات الدينية، هنا الدعوة للإعتدال وتطور الخطاب الديني وتكوين

مختصين، والقيام بإنشاء هيئات رسمية للإفتاء وتوضيح الرؤى، أما الحديث عن عيش المسلم في خارج بلاد المسلمين فضرورة تقبل نمط العيش في إطار إحترام معتقداتهم وطرق عيشهم وعاداتهم وعدم الدخول في عنف صامت وحب الانتقام، وتوضيح الإسلام في مجموع السلوكات الإيجابية المحببة، ووجود مظاهر التسامح والتكافل وإلغاء مصطلح "الإسلاموفوبيا" واعتباره خطأ منهجيا أكاديميا ملغى وفق السلوكات اليومية للشباب المسلم، والمهدئة للنفوس والمؤثرة حتى في إمكانية سن قوانين وضعية موافقة للشرعية السماوية لهذه الدول، وهنا يكمن دور الخطاب الديني في تجنب العنف الصامت.

حيث تعتبر المساجد إلى جانب الأسرة والمدرسة من إحدى أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وهذا بالنظر إلى الدور الدائم الذي تؤديه والذي لم ولن يتغير عبر مَرَّ العصور والأجيال، لأن الخطاب الذي تحمله ينطوي على مختلف رسائل التوعية والنصح والتوجيه وحتى الرعاية التي تمنحها لفئات المجتمع المختلفة خاصة الشباب منهم، وهذا من خلال خطابها المنطلق من الواقع المعاش والذي يعالج العديد من القضايا والمشاكل التي يتخبط فيها شبابنا والتي كانت من إحدى الأسباب الذي دفعته وشجعته على ممارسة أفعال خاطئة، كالسرقة وتعاطي المخدرات والمعاكسات، والضرب، وحتى القتل، وهي كلها سلوكات تصب في خانة الانحراف، التي أصبحت تهدد عقول أبنائنا وتزرع فيهم السلبية والسودوية تجاه كل شيء والتي تكون نهايتها السجن والعقوبة في غالب الأحيان، لأن هذه الممارسات لا تتوافق مع ديننا وعادات وتقاليد مجتمعنا، لهذا على الخطاب المسجدي الذي تقع على عاتقه هذه المهمة الصعبة ضرورة إختيار الأساليب المناسبة في توعية ونصح الشباب كالترغيب والترهيب والليونة والقوة، لأن تخلي الخطاب المسجدي عن هذه الأدوار تظهر سلوكات إنحرافية مغايرة تماما لتوجهات المجتمع كالتطرف الديني الذي يعرف بأنه "الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط فالتطرف يعتنق أفكارا قد تكون خاطئة، أو مائلة عن القصد والقصد هو الطريق الواسع الميسر للسلوك" (رشوان، 1997، ص16) فالشباب اليوم أصبح محاصر من جميع الجهات فما يحدث من أزمات وإنعدام لمناصب شغل والتسرب المدرسي وحتى التحول الأسري يؤثر حتما على الشباب ولا يجد سبيلا للخلاص من كل هذا الضغط يبقى في هذه الحالة الدور الكبير للمسجد الذي ينبغي عليه أن يخصص خطاب نوعي يوجه للشباب لبث فيهم روح المسؤولية والعمل غير مؤسس على الإتكالية وضامن الجوانب التضامنية والقناعة، فعلى الرغم من قيام الأسرة والمدرسة وحتى وسائل الإعلام بهذه المهام ونشر الوعي بين الشباب كل على طريقته بإختلاف المنطلقات والغايات يبقى الخطاب المسجدي الأكثر والأعمق تأثيرا والأكثر جاذبية في توعية الشباب وتربيته وإعدادة لخدمة المجتمع، وهذا من خلال زرع الأمل فيهم وإعطائهم حق المشاركة والحوار لأن صلاح الشباب يعني صلاح المجتمع وإستقراره وتطوره.

## 5. العنف الصامت بين المشكلات المجتمعية وطبقية النظم الاقتصادية:

وجود الفرد في أسوء مراحل وفي حالة مزاجية سيئة ممارسا عنفا صامتا رهيبا هو الوجود في مجال معيشي صعب سواء من ناحية السكن أو وجوده في بيئة صعبة التأقلم أو الشعور بالطبقية وتأثير ذلك على نفسية خاصة الأبناء، وهنا نسجل إنتحار حتى أباء وانحراف أمهات، فالبطالة واقع صعب لعدم القدرة على تلبية



الحاجات من مأكّل ورعاية صحية، وعدم التمكن من تغطية مصاريف تعلم متميز يضمن المستقبل المريح، ومن العيش في كنف مجتمع مثقف ومتعلم ومتفاهم ومتناسق ومتجانس فرديا ومجتمعيا.

أيضا نشير في هذا المجال إلى الصراعات الاقتصادية الموجودة، وكذا اتباع أنظمة اقتصادية دون غيرها مخلفة لطبقية في المجتمع، فالرأسمالية بقدر ما تحقق التنافسية إلا أنها تخلق اضطرابات حقيقية وطبقات فقيرة معدمة ماديا ومجتمعيا، تتشكل وتتكاثر في أحياء فقيرة تظهر فيها كل أشكال الإنحراف، عكس ربما الأنظمة الاشتراكية والتي سجلت مستويات قياسية من التخلف لعدم الفهم الحقيقي لمبادئ المساواة مع الجميع، وملكية الجماعية لوسائل الإنتاج الموجودة في أسس النظام الاشتراكي، ووجود الإتكالية ما يخلف واقعا اقتصاديا متدهورا ومتذبذبا في غالبية مراحله، وهنا نسجل عنف مجتمعي صامت، والسخط على الأوضاع وظهوره في شكل صراعات وإحتجاجات إجتماعية، وتفكك إجتماعي ووجود فئات معارضة للأوضاع المعيشية الصعبة وإنعدام فرص العمل "وخاصة في ما تعلق بإرتفاع معدل البطالة، ونقص فرص العمل وإرتفاع تكلفة الحياة، وتساهم تردي الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في إحباط الفئات الدنيا والمتوسطة في المجتمع مما يغلب طابع العنف على ردود أفعالهم" (ابراهيم، 1992، ص87)، إذ ساهم بشكل كبير في إدخال الفرد في دوامة لا خروج منها، بالفقر والبطالة وإنعدام السكن وغيرها مشاكل تؤرق الشاب الجزائري من وقتا طويلا، فتوفر هذه الظروف دفع بالأفراد إلى ممارسة سلوكات عنيفة مختلفة نتيجة للضغوطات التي يعيشونها، في أحيانا كثيرة لا شعوريا من الفرد حتى يجد نفسه متهم بالقتل أو الضرب أو السرقة كنتيجة لقوة الضغوط التي أفقدته توازنه وحسن إختياراته وحتى تغير قناعاته، وتدفع الظروف المعيشية الصعبة والمتذبذبة بالفرد إلى تفريغ غضبه باللجوء إلى عالم الإنحراف بكل أشكاله، فإيجاد الحلول لمختلف المشكلات الإجتماعية ذات الطابع الاقتصادي، أو نظير تطبيق جملة من السياسات التنموية، والتي لم تحدث نقلة نوعية في مجال الرفاهية، وغير المنتجة للثروة وغير المحفزة للإستقرار الإجتماعي، وجب النظر في إعادة تقييمها وتسطير مراحل جديدة للحد من العنف الصامت لدى كثير من شرائح المجتمع، وإحتواء طبقية النظم الاقتصادية إلى أكبر حد ممكن.

#### الخاتمة

بعد الذي تم تناوله ومعالجته بالتحليل المعق والواقعي والمدعوم بمختلف الملاحظات حول ظاهرة العنف الصامت ووجوده في أشكال مختلفة ومتغيرة، سواء في المجتمع الجزائري أو في بعض مظاهره في العديد من المجتمعات، نقر بخطورة الظاهرة، وضرورة المعالجة البحثية، كانت من منطلقات سوسيولوجية أو تعديها لمجموع التخصصات الأخرى، لإعطاء الصورة البحثية التكاملية للموضوع، قصد المعالجة وأيضا إعطاء الحلول، وبناء الإستراتيجيات ولما لا إدخال بعض العناصر المفيدة والمدعمة للتراث النظري، والإنتباه للظاهرة والقضاء على العوامل المساعدة لنموها وكبحها، قبل تحولها إلى عنف ظاهري، ومن تم تجنب التبعات وخلق مؤسسات كالأُسرة من العنف الصامت وقيامها بالتنشئة السليمة، وتمكن المدرسة من تربية وتقديم المعارف والخبرات ببرامج تعليمية منقحة و متطورة، ضامنة للمساواة صانعة لمجتمع مبدع، مبتكر، وخلاق، موحدًا لمقومات الهوية، إلى خطاب ديني متزن، خال من التشدد والغموض، أيضا مساهمة الإعلام الجديد في التقليل من الظاهرة، وعدم المساهمة في إثرائها كما هو حاصل في الفترة الحالية، وأخيرا لمحو العنف الصامت صار من الضروري وضع أنظمة اقتصادية

متوازنة أو تعديل بعضها مما هو موجود لضمان العيش الكريم، والمنافسة الإنتاجية، و إحترام الكفاءات والقدرات والتخصصات وتقسيم العمل، حينها فقط نتحدث عن إمكانية معالجة ظاهرة العنف الصامت والقضاء عليها.

#### قائمة المراجع:

- أحمد حسين رشوان. (1997). التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع. مصر: دار المعرفة الجامعة للنشر والتوزيع.
- أحمد ماهر. (2003). السلوك التنظيمي -مدخل بناء المهارات-. مصر: الدار الجامعية للنشر والتوزيع.
- الهاشمي لوكيا، نصر الدين جابر. (2003). مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي. الجزائر: مخبر التطبيقات النفسية والتربوية.
- بطرس البستاني. (1997). محيط المحيط. بيروت: ساحة الصلح للنشر.
- حامد عبد السلام زهران. (2000). علم النفس النمو والطفولة المراهقة. القاهرة: ط5، دار حامد للنشر.
- حسن محمود. (1997). الأسرة ومشكلاتها. مصر: وزارة المعارف والمعهد العالي للخدمة الاجتماعية.
- رقية الخياري. (2001). التحرش الجنسي -دراسة سوسولوجية-. المغرب: دار الفتح للنشر.
- رمزية الغريب. (1986). العلاقات الانسانية في حياة الصغير. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- سعد جمعة. (1983). الشباب والمشاركة السياسية. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- عادل عبد العال. (1993). جرائم العنف وأنماطها ووسائلها. تونس: الأمانة العامة.
- عبد الرحمن العيسوي. (2000). الاضطرابات النفسية والجسمية. بيروت: ط1، دون دار نشر.
- علي موسى الصبحين، مُجد فرحان القضاة. (2013). سلوك التنمر عند الأطفال والمراهقين (مفهومه، أسبابه، علاجه). الرياض: مركز الدراسات والبحوث.
- مُجد الصالح العمري. (2003). العود إلى الانحراف في ظل العوامل الاجتماعية. السعودية: اكااديمية نايف للعلوم الأمنية.
- مُجد عاطف غيث. (1977). دراسات في علم الاجتماع. بيروت: دار النهضة العربية.
- مصباح دبارة. (1990). الارهاب. ليبيا: ط1، جامعة فاس يونس للنشر.
- منظمة اليونيسف. (2018). التنمر وأطفالنا. الاتحاد الأوروبي: المجلس القومي للطفولة والأمومة بالتعاون مع اليونسيف وبدعم من الاتحاد الأوروبي.

- RICHARD W, WOODMAN. (1992). *Management des organisation*. Book Université.